

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لمفاهيم البحث الاساسية

اولا - مفهوم القيم

- مقدمة

- تعريف القيم

أ - القيم كمعايير للسلوك .

ب - القيم كمرادف لبعض جوانب الشخصية لاخرى

ج - القيم باعتبارها صفات او خصائص للأشياء .

د - القيم من منظور الاتجاهات .

- اسلوب التعرف على القيم فى ضوء ماسبق من تعريفات .

- مصادر القيم وعملية اكتسابها .

ثانيا - مفهوم العلم:

- مقدمة .

- تعريف العلم

أ - العلم كنظام او كنسق من المعرفة .

ب - العلم كمنهج بحث .

- اهداف العلم .

- الدور الاجتماعى للعلم .

اولا : مفهوم القيم

مقدمة :

يواجه الباحث في مجال القيم بعدة اسئلة من الضروري ان يجيب عنها، مثل ماذا يعنى مصطلح القيم ؟ ما الفرق بين القيم ومكونات الشخصية الاخرى مثل الحاجات والمعتقدات والاهتمامات والدوافع والاتجاهات ؟ وهل القيم نسبية أم مطلقة ؟ وهل هي ثابتة أم متغيرة ؟ وكيفية اكتساب وتنمية القيم لدى الفرد؟

ومن ا لجدير بالذكر أن كلمة Value لم تكن شائعة حتى وقت قريب وكانت الكلمة الاقدم والاكثر شيوعا من قبل هي Goodness وتعنى ا لطيبة والجودة ، الا أن هذه الكلمة لا يستحسن استخدامها لاننا نحتاج الى مصطلح يلائم عملية التعميم، اى يشير الى الحالات السلبية مثلما يشير الى الحالات الايجابية، والى الحالات الرديئة مثل الحالات الجيدة (١).

وتستخدم كلمة Value فى اللغة الانجليزية بطريقة فضفاضة وغير دقيقة، ولا يوجد تعريف محدد لوصف مصطلح القيمة، بحيث يكون قادرا على ايجاد اى درجة ذات دلالة من الاتفاق فى الرأى حوله، اذا تجاوزنا عن ذكر التركيز على اجماع محدد (٢) وهذا ما اشارت اليه دائرة المعارف الفلسفية حيث جاء فيها ان المصطلحين " القيمة" والتقييم Valuation ومشتقاتهما والمركبات الناتجة عنهما استخدمت بخلط وتشويش، وامتد الخلط والتشويش الى ثقافتنا المعاصرة ليس فقط فى الاقتصاديات والفلسفة، بل وايضا وبصفة خاصة فى العلوم الاجتماعية والانسانية الاخرى (٣).

-
- (1) Perry, Ralph Barton; General Theory of Value; Harvard University Press; 1955; P.(20).
 - (2) Rescher, Nicholas; Introduction to Value Theory; prentic Hell Inc.; Englewood Cliffs; New Jersey; 1969; P.(1).
 - (3) The Encyclopedia of Philosophy; The Macmillan Company and Free Press, N.Y.; Vol. 8; 1967; P.(224).

والقيم كمبحث دراسي وكما عرفت بهذا الاسم بدأت داخل ميدان الفلسفة، وذلك من خلال دراسة المثل العليا والتي اعتبرها الفلاسفة قيم الحق والخير والجمال . ثم انتقل مبحث القيم الى مجال علم النفس وذلك على يد أ. سبرنجر E. Spenger الذي نشر في اوائل هذا القرن نظرية في انماط الشخصية، صنف فيها البشر عدة انماط بناءً على القيم الرئيسية التي تسيطر على اذهانهم وتحركهم في افعالهم (١) .

أما في مجال الاقتصاد فقد استعمل ادم سميث A.Smith كلمة القيمة في معنيين مختلفين، فتعني في بعض الاحيان قيمة الشيء بالنسبة لشخص معين ويطلق عليها في هذه الحالة قيمة المنفعة Value in Use وهي مسألة اعتبارية Subjective وتعني في احيان اخرى القوة الشرائية Purchasing Power اي قيمة شيء بالنسبة لشيء آخر (اواشياء اخرى) ويطلق عليها في هذه الحالة قيمة الاستبدال Value in Exchang وهي مسألة موضوعية Objective و عندما جاء ريكاردو Ricardo وجون استيوارت ميل J.S.Mill تركا هما واتبعهما اصطلاح قيمة المنفعة، وقصروا لفظ القيمة للدلالة على قيمة الاستبدال (٢) .

ومما سبق يتضح من خلال استخدام مصطلح القيمة في كثير من المجالات العلمية، ان مبحث القيم اصبح نقطة تقابل مختلف العلوم الاجتماعية والنفسية، فكما يقول جورج لنيك Gurglnik, P. "اصبحت ترتبط دراسة علم النفس التجريبي عن الادراك بدراسة تحليل الابدولوجية السياسية، كما ترتبط دراسات الميزانية في الاقتصاد بالنظرية الجمالية، وكذلك ترتبط آداب اللغة بثورات الشعوب" (٣) .

(١) مصطفى سويف : مقدمة في علم النفس الاجتماعي - الانجلو المصرية، القاهرة ط ٢ ١٩٦٦، ص ٣ (٣٣٥ - ٣٣٦) .

(٢) عبدالمنعم البيه: نظرية القيمة - مطبعة قناة السويس - القاهرة ط ٣ - ١٩٥٥، ص (١٢) .

(3) Gurglnik, P. (Ed.) Websters; The World Publishing Co.; N.Y.; Second Edition; 1970; P. (1568).

ونظرا لغموض مفهوم القيمة والاختلاف حول تحديد معناها من مجال دراسي لآخر، فهي تدرس فلسفيا من خلال المثل العليا (الحق - الخير - الجمال) ، وفي علم النفس من خلال دراسة بناء الشخصية وارتباطها ببعض مكونات الشخصية الاخرى مثل الميول - الاهتمامات - الرغبات - الاتجاهات . الخ . اما في مجال علم الاجتماع تدرس من خلال دراسة التفاعل الاجتماعي والحاجات ، وفي الاقتصاد من خلال موضوعات الانتاج والاستهلاك والتوزيع، وتصنف تعريفات القيم تبعا لوجهات نظر مختلفة حول مفهوم القيمة من خلال المنظور العام الذي يتبناه كل تعريف لكيفية ترجمته للقيم وكيفية قياسها من خلاله (١) . وفيما يلي توضيح لذلك :

— تعريف القيم

أ - القيم كمعايير للسلوك

قدمت مجموعة من التعريفات لمفهوم للقيم على أنها معايير توجه السلوك ويمكن القول بأن هذا المفهوم للقيمة يعتبرها اشياء ترتبط بالمثل المجردة المطلقة، مصدرها أعلى من الافراد والجماعات، وهي تمثل بناء علويا فوق البناء الاجتماعي الواقعي وما يشير اليه هذا البناء الاجتماعي من شواهد واقعية داخل انساقه الاجتماعية، هذا الى جانب ان وظيفة القيم كما تتبدى من مفهوم القيمة هذا - هي وظيفة معيارية، وهي بذلك تبدو غايات في ذاتها أو اهدافا .

ويقع على رأس مجموعة التعريفات التي نحت هذا المنحى التعريف الذي ورد في قاموس وبستر Webster حيث عرف القيم بانها :

" مفاهيم اجتماعية تعبر عن اهداف او معايير مقبولة او مستحسنة من جانب الافراد او طبقة اجتماعية معينة أو مجتمع ما الخ " (٢) .

من الواضح ان التعريف السابق يرادف بين الاهداف والمعايير، على الرغم من الاختلاف بينهما، حيث ان المعايير يمكن اعتبارها ادوات حكم ء لى صلاحية الاهداف التي نسعى اليها كمجتمعات او كأفراد .

(١) محي الدين احمد حسين: القيم الخاصة لدى المبدعين - دار المعارف - القاهرة

ويتفق لبيت Lippit على اعتبار القيمة معيارا للسلوك يستخدمه الفرد أو الجماعة للاختيار بين بدائل في مواقف تتطلب قرارا أو سلوكا معيناً ، أو يستخدمها المشاركون لكي يشرحوا أسباب القيام باختيار معين^(١) . وهذا مايراه ايضا عبدالباسط عبدالمعطي حيث عرف القيمة بانها :

" مقياس او محك او معيار للانتقاء من بين بدائل ومخلفات اجتماعية امام الشخص الاجتماعي في مواقف الحياة الاجتماعية بقصد تحقيق مصالح واهداف معينة ترتبط بالوضع الاجتماعي لهذا الشخص" (٢) .

ويرى ريتشارد Richard ان القيم:

" هي المحك الذي نحكم به على الاشياء(الناس - الموضوعات - الافكار- الافعال - المواقف) أهي جيدة أو ذات قيمة أو جديرة بالاهتمام أو مرغوب فيها أم انها من ناحية اخرى سيئة اوغيرمرغوب فيها او غير ذات قيمة" (٣) .

ويتضح من تعريف كل من لبيت Lippit وعبد الباسط وريتشارد انهم يربطون بين القيمة كمييار ، وتحقيق الاهداف اوالمصالح الاجتماعية اوتبرير عملية الاختيار للسبل المتبعة لتحقيق الاهداف . أي انهم ربطوا بين القيم كمثل والاطار الاجتماعي، ويرى كل من روبين Robin ووليمس Williams رأيا آخر، حيث يربطان بينها وبين الاطار النفسي للفرد، وهذا مايشير اليه تعريفهما للقيمة على أنها :

(١) Lippit, R.; "Values Issues for a classroom change" In: T.Brameld and S. Elan (Eds.); Values in American Education; PhiDelta Kappan; Bloomington; 1964; p. (34).

(٢) عبد الباسط عبدالمعطي: " القيم الثقافية الفردية والمسألة السكانية" لسكان والصحة والتنمية في البلاد العربية . مؤتمر الخبراء العرب لمسائل السكان والصحة والتنمية المنعقد بالاسكندرية (٣-٨ يناير ١٩٧٦) ص (٥٥٣) .

(٣) Richard, H.Hersh and Others; Models, Moral Education, Longman Inc.; N.Y.; 1980; P. (27).

" تشير الى معايير من المرغوبية يعبر عنها في ابعاد (جيد - سيء) (مرض - غير مرض)، (مناسب - غير مناسب) " (١) .

ويربط ايضا عطية هنا بين القيم والاطار النفسى للفرد حيث عرف القيم بانها :
 " تنظيمات معقدة لاحكام عقلية انفعالية سعممة نحو الاشخاص أو الاشياء أو المعانى،
 سواء كان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحا او ضمنيا ، وان من الممكن
 ان نتصور هذه التقديرات على اساس انها امتداد يبدأ بالتقبل ، ويمر بالتوقف وينتهى
 بالرفض " (٢) .

ويرى كاظم بان القيم هى مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه فى سلوكنا ونسلم بأنه
 مرغوب فيه او مرغوب عنه (٣) .

ويربط كذلك كل من سميث Smith وبترسون Peterson فى تعريفهما
 بين القيم والاطار النفسى للفرد، حيث قررا ان القيم عناصر تبين كيفية تحديد الفرد
 لهدفه فى حياته، واحسن تصور لهذه العناصر الموجهة فى الحياة يكون على أنها عملية مكونة
 من (٤) :

أ - اختيار بين عدة بدائل بعد تفكير عميق ودراسة ذكية لنتائج كل اختيار. من هذه
 البدائل .

(1) Robin, M. & Williams J.R.; "Analyst of Social Institution and Systems"; In: Social Theories; Selected American Writers; D. Van Naslrend Company; N.Y.; 1961; P. (499).

(٢) عطية محمودها: " دراسات حضارية مقارنة فى القيم " - فى: لويس كامل مليكة -
 قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية - الدار القومية للطباعة والنشر
 القااهرة - ١٩٦٥ - ص (٦٠٢) .

(٣) محمداىراهيم كاظم: تطورات قيم الطلبة - دراسة تتبعية كقيم الطلاب فى خمس
 سنوات - الانجلوالمصرية - القااهرة - ١٩٦٤ ص (١٤) .

(4) Smith, Darrell and petrson, James; "Values Achallenge to the professions; "The personal and Guidance Journal; Vol. 55; N. 5; 1977; P. (228).

- ب - الاختيار والتقدير يكون تقديرا اراديا للفرد، يعتزبه ويدافع عنه على رؤوس الاشهاد .
ج - وعملية الاختيار توعدى الى قيام الفرد بعمل شيء ما، ومن شروطها التكرار او تظهر كنمط ثابت فى حياة الفرد .

ويفرق ديوى Dewey بين معنيين لكلمة القيمة، وهما القيم كما تتمثل فى الأشياء أو قيم الأشياء - اى تقدير الشيء واعتباره مستحقا للاهتمام لاجل ذاته، و هو ما يسميه ديوى الخبرة التامة، والقيم كمرادف للنشاط الفعلى فى توجيه الفعل (١) . او بمعنى آخر: " عندما يريد الفرد تحقيق غاية ما فانه يقوم بنوع من المداولة الفكرية أو أعمال العقل، ويضع عدة خطط لتحقيق هذه الغاية، ويضع فروضا للعلاقة المتوقعة بين الوسائسل والغايات والقيمة تشير الى مايقوم به العقل من توجيه للفعل الذى يوجد بين الطاقات فى الموقف" (٢) .

أى أن القيمة بمعناها الثانى الذى يسقدمه ديوى هى التى تدفع العقل لعمل الحكم، او بمعنى آخر هى المعيار الذى يقاس عليه لعمل حكم ما . الا انه يوجد من يفرق بين القيم والمعايير ، وذلك على أساس انهما نموذجان مختلفان من الموجهات الرمزية للفعل . فالقيم تحدد التفضيلات الاجتماعية Social Preferences والمعايير تعين القواعد والالتزامات الاجتماعية Social Perescption (٣) . هذا من جانب، ومن جانب آخر فالأخذ بتعريف القيم على انها معايير توجه السلوك للمرغوب فيه يحتوى على تناقض لانه توجد بعض القيم توجه السلوك لماهو غير مرغوب فيه مثل قيمة الانانية او قيمة التعصب الدينى .

(١) جون ديوى : الديمقراطية والتربية - ترجمة منى عقراوى وزكريا ابراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٦ ص (٢٥٩) .

(2) Gawnloek, James; John Dewey's Philosophy of Value Humanities Press; N.Y.; 1972; P. (135).

(٣) محمد على محمد : 'القيم الثقافية والتنمية' مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (٥ - ٨ مايو ١٩٧٣) ص (١٥) .

ويفرق كلاهون Kluckhon بين القيم والاهداف، وذلك على اعتبار أن القيم ليست هي الاهداف الملموسة Concrete Goals للسلوك، ولكنها من المرجح انها انعكاسات لهذه الاهداف (١).

ب : القيم كمرادف لبعض جوانب الشخصية الاخرى يبدو ان السائد بين علماء النفس انهم يعرفون القيم من خلال بعض المصطلحات المرتبطة بمجال دراستهم مثل الحاجات Needs والسمات Traits والمعتقدات Beliefs والدوافع Motives والرغبات Desires والاعراض Proposes والاهداف Goals والغايات Objects والمشتبهات Appetites والتعصبات Prejudices والانجذابات Attraction والعواطف Sentiment (٢).

ومن التعريفات التي قدمت مفهوما للقيم على أنها تعبر عن معتقدات تعريف كل من كرتش Kerch وكرتشفيلد Crutchfield وبلاش Bellachy حيث عرفوا القيم بانها: " معتقد متعلق بما هو جدير بالرغبة • وهذا المعتقد يملى على الفرد مجموعة من الاتجاهات تعبر عن القيمة" (٣).

ويتفق معهم في الرأي نفسه روكيتش Raceach حيث يعرف القيمة بانها:

(1) Buhler; Charatte, Values in Psychotherapy; The Freepress, N.Y., 1962; P. (31).

(2) Kluckhons, Clyde and Others; "Values and Value Orientation; In: Parsons T. and Shils, E. (Eds.); Toward General Theory of Action; Harvard University; thired Edition ; 1954; P. (390).

(3) Krech, P. and Others; Individual in Society McGraw Hall Co. Inc. N.Y.; 1962; P. (220) .

" تعبر عن معتقد واحد دائم الى حد ما يحمل في داخله تفضيلا شخصيا كان او اجتماعيا لغاية معينة من الغايات او لنوع من السلوك الموصل الى هذه الغاية" (١) .

والقيم كما يراها روكيتش لاتعبر عن كل انواع المعتقدات، ولكنها نعبر عن نوعية معينة فقط، حيث انه صنف المعتقدات الى ثلاثة انواع ومعنى معتقدات وصفية أو وجودية Descriptive or Exestential Beliefs وهي قابلة لان تكون صادقة او كاذبة، والنوع الثاني من المعتقدات هي معتقدات تقويمية Evaluative Beliefs والتي من خلالها يمكن الحكم عليها بانها جيدة او رديئة . . والنوع الثالث معتقدات ارشادية او توجيهية Prescriptive of Proscriptive Beliefs والتي نحكم بها على المعاني او نهايات الافعال بانها مقبولة او غير مقبولة، والقيم هي معتقدات من النوع الثالث .

ويبدو أن هلتمان Hultman يربط بين القيم كمعتقدات ودوافع الشخصية حيث يرى أن القيم عبارة عن معتقدات تؤدي الى زيادة نشاط الدوافع (٢) .

ويرفض كلاهون ان تكون القيمة معبرة عن معتقد واحد، بل ان القيمة في رأيه تشمل مجموعة معتقدات، هذا الى جانب ان الاعتقاد يعتبر حقيقة او ممكنا ، بينما القيمة تمثل ما أراه طيبا بالنسبة لي، أو أنه افضل من غيره، ومن ثم فالحكم الاعتقادي مبني على الصواب أو الخطأ في اساسه، بينما يبني الحكم ال لقيمي على الحسن والقبح (٣) .

الا أن ماسلو Maslow يرى رأيا آخر في تعريفه للقيم، حيث أنه يربط بينها وبين الحاجات، حيث تقوم نظرية ماسلو Maslow في الدافعية على اساس

- (1) Raceach, M.; Beliefs Attitudes and Values Theory of Organizatioin and Change, Jassey Bass Publishers San Francisco; 1970; P.P. (155-160).
- (2) Hultman, Kanneth E.; "Values as Defenses"; The Personal and Guidance Journal; Vol. 54; N.51976; P. (269).

(٣) محمد رفقي عيسى: توضيح القيم ام تصحيح القيم؟ نحو استراتيجية جديدة في الإرشاد النفسي - المجلة التربوية ، تصدر عن كلية التربية - جامعة الكويت - السنة الاولى - المجلد الاول ، العدد ٣ ديسمبر ١٩٨٤ ، ص (٤٨-٤٩) .

افتراضى بناء هرمى من الحاجات تسود فيه اوتلمى فيه ادنى الحاجات مستوى (الحاجات البيولوجية) على الافراد ضرورة الاشباع . ومأن تشبع هذه الحاجات حتى تظهر قوة دفع حاجات اخرى تنتظم فى مستوى تال من هذا البناء الهرمى وهكذا ، حتى المستوى الاخير الذى يحدده ماسلو Maslow من الرغبة فى المعرفة والفهم . وعلى هذا فاستنادا على نظرية ماسلو Maslow يمكن اعتبار الكائن البشرى كما لو كان يحتل مركز عدد من القوى المختلفة تنتظم فى شكل مستويات تجذبه تجاه أو فى حالة التقويم السلبى تبعد به عن عدد من الرغبات المختلفة ، وأن زيادة شدة الجذب للكائن فى اتجاه معين انما تعنى انخفاض شدة هذا الجذب فى اتجاهات اخرى ، ومن ثم فان مايمثل اعلى درجات الجذب فى اتجاه مايجسم المعنى الحقيقى للقيمة (١) .

ويفرق كلاهون بين القيم والحاجات من خلال دراسته للعلاقة بينهما ، حيث وصل الى نتيجة مؤداها ان العلاقة بين نظام القيم ونظام الحاجات تكون بالضرورة مركبة ، حيث ان القيم تنشأ عن حاجات متعددة ، كما انها تخدم حاجات متعددة ، وكذلك تكبت حاجات اخرى (٢) .

ويتضح من وجهة النظر التى ترى ان القيم تعبر عن الحاجات ، انها تأخذفى اعتبارها ان مصدر القيم هو البناء النفسى الحيوى للانسان مهملتا الابعاد الاجتماعية والثقافية للقيم ، ومن ثم صعبت من مهمة اختبارها اوقياسها ، لانه توجد بعض الانجذابات نحو اشياء معينة قد تكون غير مقبولة اجتماعيا وبالتالي لايمكن التعبير عنها ، ومن ثم لا تتضح أو تظهر للباحث . وتوجد تعريفات اخرى للقيم بأنها ميل أو تفضيلات ، ومن هذه التعريفات تعريف

روجرز Rogars حيث يرى أنها :

"تشير الى ميل الافراد الذى يظهر من خلال افعالهم لتفضيل شىء او موضوع اكثر من آخر" (٣) .

(١) محى الدين احمد حسين : القيم الخاصة لدى المبدعين - مرجع سابق ص (٣٩) .

() Buhler, Charatt; Values in Psychotherapy; Op. Cit.; P. (31).

() Kuhn, David J. "Values Systems in Life Science Intruction "; Science Education; Vol. 54 N. 3; P. (343).

وفي هذا المعنى يقول كاتون Catton :-

" لنفرض ان الرغبة هي أى شىء يتمناه شخص ما في وقت ما ، ربما تكون هذه الرغبة شيئاً مادياً أو علاقة اجتماعية أو أنها بصفة عامة شىء ملموس أو غير ملموس يمكن الإشارة اليه بالكلمات (موضوع الرغبة) ، وهكذا يمكن تعريف التقويم Valuing بأنه الافعال التي تبين شدة ميل الشخص للرجبات المختلفة أو كمية دوافعه لمتابعة هذه الافعال (١)

ووضع كاتون نظرية للقيمة فيها بأسلوب هندسى رياضى أبعاداً افتراضية لفراغ القيمة وهي بعد فراغى Spatial Distance وبعد اجتماعى Social Distance وبعد زمانى Remoteness in Time وبعد الاحتمالية Probability وبعد الاستمرارية او الدوام "Permanence" Irrevacability of Prehaps وأخيراً بعدامكانية الاختيار Free Selectability ، ويضيف كاتون ان فراغ القيمة هو نتاج ثقافى اجتماعى ، وربما يبدو أن له ابعاداً فرعية من نوع ما في الثقافات الفرعية المختلفة ، فالترفضيل بين الرجبات ليس وظيفية القيم فقط ولكنه يتم ايضاً بفعل المواقف النسبية للرجبات في فراغ قيمي . لذا فتركيب بناء التفضيلات ربما يختلف اذا اختلفت الابعاد الفعالة للفراغ القيمي من شخص لآخر او من مجموعة لآخرى ، وذلك حتى لو ظلت القيم ثابتة (٢) .

ويسير في الاتجاه نفسه بيرى Perry في تعريفه للقيم حيث يقرن بين القيمة والاهتمام " قيمة الشىء تتضح من خلال مدى الاهتمام به ، فالشىء يصبح له قيمة عندما يكون موضوعاً للاهتمام أى اهتمام " (٣) .

ويتضح من خلال ما قدمه علماء النفس من تفسيرات للقيم ، أن موقفهم يعبر عن عدم وضوح فكرى لمفهوم القيمة ، حيث انه تبعاً لوجهة نظرهم فالقيمة تظهر من خلال

(1) Catton, W.; "A theory of Value American Sociological Review; Vol. 24; 1959; P. (310).

(2) Ibid.; P.P. (316-317).

(3) Perry, R.B.; Realms of Value - A Critique of Human Civilization; Harvard University Press; 1954; P. (2).

الاشباع (للحاجات أو الرغبات أو للاهتمامات... الخ) . او عن طريق اللذة ، أى أن الحالة النفسية التى تعبر عنها هى الاقوال التى توجد فيها القيمة كاسم او كفاعل ، كل هذه الاقوال تعبر عن حالة نفسية متمثلة فى اللذة، بل توسع التحليل السيكولوجى لماهية القيمة التى الدرجة التى اصبح ينطوى على اللذة من جهة والالم من جهة اخرى، ولاشك أن هناك فرقا بين صفات اللذة والالم . ومنهم من يرى أن القيمة هى الرغبة وهذا التعريف فيه تناقض ايضا ، لاننا كيف ننسق بينه وبين القول بانه يجب أن نكتب رغباتنا فى كذا وكذا...؟ (١)

ج : القيم باعتبارها صفات أو خصائص للأشياء

محور هذا الاتجاه فى تفسير القيم هو النظر اليها على انها خصائص للأشياء أو الموضوعات، اكتسبتها على مر الايام بحيث انها ارتبطت بها ، ولعله من الملاحظ انه تبعا لوجهة النظر هذه أن القيم تبدو تجريدا للثقافة وموئسرا يشير الى طبيعتها ووظيفتها ، ووجهة النظر هذه اكثر عمومية فى تحدها لمفهوم القيمة، ومن التعريفات التى قدمت هذا المفهوم تعريف فرندزى Frandizi حيث يقول : " القيم لا توجد فى حد ذاتها ولكن لابد من وجود ما يكون بمثابة ناقل أو حامل لها ، وبناء على ذلك فالقيم المحمولة تظهر كصفات للشئ الحامل او الناقل لها . ومثال ذلك جمال اللوحة وأهمية الآلة واناقة الثوب . الخ... فاذا نحن نظرنا الى اللوحة والآلة والثوب سوف نجد صفة القيمة فى كل منها تختلف عن الاخرى . " (٢)

أى أن القيمة تتضح من خلال الشئ أو الموضوع ، وهذا ما يراه ايضا بول موى حيث يقول ان :

" لقيمة تطلق وبصفة خاصة على الصفة التى تجعل اشياء معينة تستحق التقدير ،

(١) محمد احمد بيومى : علم اجتماع القيم - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ١٩٨٠ ، ص ٤٦ - ٤٨ .

(2) Frandizi, Risieri; What is Value? An Introduction to Ascology; Open Court Publishing Company, La Salla Illinois, Second Edition; 1971; p. (7).

وحكم القيمة هو الحكم الذي يعترف للأشياء بهذه الصفة، ومن أمثلته الحكم الذي يعلن جمال عمل فني، والطابع الاخلاقي لفعل ما، ولنلاحظ أن احكام القيمة قد تكون سلبية فتنفق عن الشيء القيمة التي كان ينبغي أن تكون له والتي كان المرء يتوقع أن يجدها فيه". (١)

ويذكر القاموس التربوي أن القيمة هي كل صفة ذات اهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعية أو اخلاقية او جمالية ، وتتسم بسمة الجماعية في الاستخدام (٢) .

أى أن القيم كما تشير اليها التعريفات السابقة هي التي تفسر طبيعة الشيء ولكن دوركيم Durkhiem يعتبر هذا الزعم مصادرة تتعارض مع ما تثبته الوقائع فتوجد الكثير من الحالات التي لا تنطوي على أية علاقة تشير الى هذا الزعم فالصنم مثلا مقدس والقداسة ارفع القيم ومع ذلك فليس الصنم في الغالب سوى قطعة من الحجر أو الخشب، وهي في ذاتها شيء نافه مجرد من اي نوع من انواع القيمة، وبالتالي لا يوجد ارتباط جوهري بين خصائص الشيء وقيم الشيء (٣) .

د: القيم من منظور الاتجاهات

يرى جابر عبدالحميد أن القيمة تعبر عن مجموعة من الاتجاهات، حيث يقول "كثيرا ما تنتظم الاتجاهات المنفردة في تكوينات اكبر هي القيم فتتكامل حول بعض التجريدات التي تتمثل بفئات عامة من الأشياء، فقد تكون لدى شخص معين عدة اتجاهات عن العبادات التي يقوم بها والطقوس والمذاهب الديني والمسجد الذي يتردد عليه، وحين تنتظم هذه الاتجاهات في موضوع مركزي واحد فانها تكون قيم الفرد الدينية" (٤) .

ولا يرى كالفن Calvin ان هناك فرقا جوهريا بين القيم والاتجاهات،

- (١) بول موى: المنطق وفلسفة العلوم - مرجع سابق ص (٢٠ - ٢١) .
- (٢) محمدابراهيم كاظم واخرون: القيم السائدة بين الشباب من معلمي المرحلة الابتدائية في جمهورية مصر العربية - دار الكتب - القاهرة - ١٩٧٠ ص (٣) .
- (٣) محمداحمد بيومي: علم اجتماع القيم - مرجع سابق، ص (٤٠) .
- (٤) جابر عبدالحميد جابر: مدخل لدراسة السلوك الانساني - مكتبة النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٢ - ص (٩٥) .

" وانما الفرق بينها فرق بين العام والخاص، وذلك لأن القيم أكثر عمومية وتجريداً من الاتجاهات حيث ان نسق قيم الفرد يتضح من خلال اتجاهاته فمثلاً تتضح قيمة الحسب لدى الفرد من خلال اتجاهاته نحو الرقابة على المطبوعات وسلوك السلطة المنفصلة للقانون" (١).

ويتفق كانتريل Cantril في ذلك، حيث يرى القيم باعتبارها اتجاهات تقييمية (٢). أى أن القيم تتفق مع الاتجاهات من حيث الموضوع. اما ستاجنر Stagner فيعتبر القيم تقويمات لاتجاهات متقاربة (٣).

ويختلف سارجنت Sargent مع ما طرح من قبل حول طبيعة العلاقة بين القيم والاتجاهات حيث يرى أن الاتجاهات تدل على ميل سلوكي يتميز بشعور سار أو مؤلم على حين أن القيم تمثل الامور التي تتجه نحوها اتجاهاتها، أى أن سارجنت يعتبر القيم بمثابة الموضوع أو الشيء الذي تدور حوله الاتجاهات (٤).

ويربط جرين Grren بين القيمة وبين الوعي والاتجاه، حيث يرى أن: "القيمة وعى يحمل صفة الاستمرارية بالاضافة الى الانفعال تجاه شيء أو فكرة أو شخص وفي رأيه أنه توجد شروط لابد من توافرها حتى نطلق مصطلح القيمة على ما يكون لدى الفرد وهي (٥):

- أ - أن يكون لدى الفرد وعى حول شيء أو فكرة أو شخص.
ب - أن يوءدى هذا الوعي الى حدوث اتجاه انفعالي مع أو ضد الشيء أو الفكرة أو الموضوع أو الشخص - أى يظهر فيه موقف الاهتمامه.

(1) Kelyvin, Peter & Proshansky, Harold; The Bases of Social Behavior; Halt Renhart and Winslon Lts; London 1970; p.p. (39-40).

(٢) فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية. دارالكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة - ١٩٦٦ - ص (٢٤).

(٣) المرجع السابق ص (٢٤).

(٤) المرجع السابق ص (٢٤).

(5) Green, Arnold W.; Society; McGraw Hill; N.Y.; 1960; p.p. (135-136).

ج - ان يتصف الوعى والاتجاه الانفعالى بصفة الاستمرارية .

والقيمة ليست هى الوعى، وانما الوعى شرط من شروط وجودالقيمة . هذا الى جانب ان الاتجاه الانفعالى قد لا يكون ظاهرا وذلك لعدم موافقة المجتمع على نوعية مامن القيم كقيم التعصب الدينى فى المجتمع المصرى ، ولذا فيصعب التعرف عليها .

وقد حاول بعض الباحثين دراسة العلاقة بين الاتجاهات والقيم وخلصوا الى وجود علاقة بينها، ومن هؤلاء الباحثين بنتنر pintner حيث بحث اتجاهات ١٨٧ طالبا تجاه الكنيسة وتجاه القانون ، وتجاه الحرب وتجاه الزواج، وقارن ذلك بدرجاتهم على مقياس للقيم، فوجد أن اصحاب القيم النظرية اوالطلاب ذوى العقول العلمية لهم اتجاه ايجابى نحو الزواج ويعارضون الحرب وسيطرة الكنيسة والقانون . اما ذوو القيم الاقتصادية فكانوا على العكس ، حيث كانوا ذوى اتجاه سلبى نحو الزواج والقانون واتجاه ايجابى نحو الحرب (١)

أسلوب التعرف على القيم فى ضوء بعض مفاهيمها :

فى ضوء ماسبق ينضح انه توجد بعض النقاط التى اتفقت عليها معظم وجهات النظر المختلفة فى تعريف القيم، ونقاط اخرى كانت محل خلاف . من الجوانب التى كانت محل اتفاق فى وجهات النظر :

- * يمكن اعتبار القيم متغيرا يربط بين الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه ومن ثم يكشف عن القيم امبيريقيا من خلال عملية المعايشة للفرد فى المجتمع، أى من خلال خبرة الفرد فى المجتمع أو من خلال التوجه العام لحياة الفرد فى المجتمع .
- * حيث ان القيم مفهوم اجتماعى يربط بين الفرد والمجتمع ويؤثر فى التوجه الحياتى للفرد فان هذا المفهوم ليس له صفة الالزام ، بل يتيح للفرد الاختيار بين عدة بدائل تكون مقدمه امامه .

(1) Mukerje, R.K.; The Social Structure of Value; S.Chend & Co.; New Delhi; Second Edition; 1965; p.(66).

× يكون اختيار الفرد لاي بديل بعد تفكير وتأن وليس عن جبر أو اضطرار حيث أن اي اختيار تحت هذه الظروف لايعبر عن قيم الفرد .

× تملى القيم على الفرد اختيار افضل البدائل المقدمة من خلال خبرته الحياتية ويعتز باختياره ويؤكد ، ويظهره كلما ساحت له الظروف بذلك، ويعمل بهذا الاختيار، وباستمرار، أي يصبح نمط حياة .

× القيم كمفهوم اجتماعي لها ثلاثة جوانب، جانب معرفي، وذلك لادراك البدائل المقدمة في الموقف والتفكير حولها ، ولها جانب انفعالي حيث انها تدفع الفرد تجاه بديل معين أو تبعده عنه ، ولها جانب نزوعي ، حيث انها تؤدى بالفرد للسلوك في اتجاه ما ، والاختيار ببديل ما والتمسك به .

واما الجوانب التي كانت موضع اختلاف في وجهات النظر فهي:

× المؤشرات التي تظهر بها القيم، أو الشواهد على وجودالقيم، حيث انه لا يوجد اتفاق حول طبيعة هذه المؤشرات، ويمكن ارجاع ذلك الى اختلاف منظور كل باحث في هذا المجال عن الآخر، او بمعنى آخر وهو ان كل تعريف تأثر بالمنظور الخاص لمن قام بصياغته

فيوجد بعض التعريفات مشبعة بالروح الفلسفية، وهي تلك التعريفات التي قدمت مفهوما للقيم على انها مثل عليا، وترتبط بالاشياء على انها صفات لها، ويظهر ذلك من التعريفات المقدمة في ثالثا .

وبعض التعريفات كانت معبرة عن وجهة نظر اقتصادية ، وخاصة تلك التي قدمت مفهوما للقيم باعتبارها تقديرات للاشياء او الموضوعات وتوجد تعريفات كانت محكومة بوجهة نظر سيكولوجية، وهي تلك التي عبرت عن القيم من خلال الاتجاهات والاهتمامات والرغبات الخ، وتوجد تعريفات تناولت القيم من وجهة نظر الفعل الاجتماعي . وهذه التعريفات تعبر عن وجهة نظر سيكولوجية .

وينضح مما سبق ان القيم يمكن التعرف عليها من خلال احد الاسلوبين الآتيين :

(١) عن طريق الفعل او السلوك المشاهد للفرد، بل الفعل من وجهة النظر هذه يعتبر مرحلة مهمة في مراحل وجود القيمة، أي ان القيمة هي ما تظهر من الافعال

فيرى راثز Raths ان القيمة تقوم على ثلاث عمليات الاختيار Chosing والكفاح Prizing من اجل تأكيد البديل الذى وقع عليه الاختيار، ثم الفعل Acting (١)

الا أنه اذا كان السلوك يعبره هـ بعض الاحيان عن القيم التى يعتمدها الفرد، أو أن القيم يمكن أن تكون فى بعض الاحيان معايير توجه السلوك الانسانى، الا أن ذلك لا يكون صحيحا على الدوام. اذ ان الفرد محكوم فى سلوكه ايضا بالمعايير الثقافية للمجتمع الذى يعيش فيه . وقد لا تتفق المعايير الثقافية مع القيم كمعايير سلوكية، حيث ان الفرد لا بد وان يسلك بما يتفق ومعايير مجتمعه الثقافية، وبالتالي فقد يسلك وبما لا يتفق وقيمه . فعلى سبيل المثال الانسان الاوربي عند وجوده لفترة ما فى المجتمع المصرى، فهو ملزم باتباع القانون المصرى، (والقانون المصرى جزء من المعايير الثقافية للمجتمع المصرى) - وقد لا يتفق هذا مع مالى الاوربي من قيم - هذا من جانب ومن جانب آخر قد يسلك الفرد فى المجتمع بما يتفق وطبيعة الدور الاجتماعى المنشود منه، وليس بما يتفق وقيمه . وهنا سيكون سلوكه ايضا مخالفا لقيمه .

(٢) من خلال التعبير اللفظى للفرد عنها .

تشير بعض التعريفات الى انه يمكن التعرف على قيم الافراد من خلال الكشف عن بعض جوانب الشخصية مثل معتقداتها او اتجاهاتها اورغياتها . . . الخ، وهذه يكشف عنها من خلال التعبير اللفظى، ويوجه لطريقة قياس القيم بالتعبير اللفظى نقد معين وهو انه قد لا يكون التعبير اللفظى معبرا بشكل تام عن القيم . كما أنه توجد فروق واضحة بين القيم و الجوانب السيكولوجية الاخرى للشخصية .

الا أن الاتجاه الاخير و تعريف القيمة، اى تعريف القيمة من خلال الاتجاهات هو أقل وجهات النظر اثارا للجدل، حيث ان مفهوم القيمة بهذا المعنى يربط بين الاطار الاجتماعى والبناء النفسى للفرد، فاذا نظرنا الى النظام الاجتماعى سوف تجده يتكون من انظمة فرعية اخرى مثل النظام السياسى والنظام الاقتصادى والدينى والاسرى . . . الخ، ويتكون كل نظام من مجموعة من القيم Values تحدد هويته ويعكس النظام من ناحية اخرى،

(1) Kuhn, David J.; "Values Systems in Life Science"; Op. Cit.; p. (343).

هذه القيم فى مجموعة من المعايير Norms والتي يكون منصوصا عليها فى صورة قوانين او موجودة فى شكل العرف Moris والتراث Traditions، ويعكس اى نظام مجموعة من التنظيمات الاجتماعية يسلك الفرد داخلها انماطا من السلوك تعكس بدورها اتجاهات الفرد نحو النظام (١) .

وقد اخذالبحث الحالى بالتعريف الاتى للقيم:

القيم مفاهيم تعبر عن الاتجاهات المعيارية العامة ، والتي توجه الفرد فىحياته الاجتماعية، وتظهر من خلال نشاطه اللفظى او السلوكى.

مصادر القيم وعملية اكتسابها

ما مصدر القيم - هل الفرد - ام المجتمع - ام طرف ثالث ؟

توجد وجهات نظر مختلفة حول تحديد مصدر القيم" فالبعض يقول أن مصدرها القانون الطبيعى الذى يتمشى مع طبيعة الاشياء ويتفق مع العقل ، فالحق حق والعدل عدل ، بصرف النظر عن وجهة النظر الانسانية . وآخرون يقولون ان مصدرهاالفرد، فهو الذى يحدد ماهو خطأ وصواب، وماهو جميل وقبيح وهو الذى يجعل لاي قيمة معنى بقبولها والتزامه بها، ولذا يجب ان تكون القيم محققة لرغبات الفرد واهتماماته . ويقول طرف ثالث بان المجتمع مصدر القيم، فهو الذى يخلقها ويحافظ عليهاوعلى الافراد ان يلتزموا بها طالما ان جماعتهم ارتضوها لانفسهم" (٢) . اى ان وجهات النظر حول مصدر القيم تتعدد ما بين القانون الطبيعى والفرد و المجتمع .

أ - القانون الطبيعى مصدر القيم:

تبدو وجهة النظر هذه مشبعة بروح فلسفية، ونرى ان القيم لاتتبع من ا لفرد ولا تتشكل عن طريق المجتمع، كما ان القيم لاتتغير بتغير الزمان اوالمكان .ولعل هذا يتفق فقط مع بعض ا لقيم الدينية حيث اننا - كمسلمين - ملتزمون بالقيم الدينية الاسلامية كمانص عليها القرآن الكريم والسنة وهى لاتتغير بتغير الزمان أو المكان، لى جانب

(١) محمداحمدبيومى: علم اجتماع القيم - مرجع سابق ص ص (٢٨-٢٩) .

(٢) محمد منير مرسى: فلسفة التربية - اتجاهاتها ومدارسها - عالم الكتب، القاهرة

ان مصدرها كما هو واضح ليس الفرد او المجتمع. اما بالنسبة للإنواع الأخرى من القيم فانها ترتبط بالبيئة الثقافية الموجودة فيها، وهذا ما عبر عنه سيجر Segar حيث قال :

" القيم مفهوم غامض تشبه في هذا بعض المفاهيم الأخرى مثل الحرية Liberty والمساواة Equality والاخاء Fraternity الخ. . . اي انها تأخذ معان مختلفة في اوقات مختلفة" (١)

ب - الفرد مصدر القيم

ويطلق اجزن Ajzen على وجهة النظر هذه النظرة الانسانية، حيث يرى أن الناس لديهم قابلية ملازمة لهم للتحرك ولحل مشكلاتهم اذا تحققت شروط معينة . . . وقيمهم ملازمة لهم اكثر من أن تكون مفروضة بواسطة الثقافة (٢) .

وترجع وجهة النظر هذه عملية اكتساب القيم الى الحاجات البيولوجية للفرد، ومن ذلك يقول محمد ابراهيم كاظم:

" وجهة نظرنا في هذا الموضوع هو ان القيم تشتق من الحاجات البيولوجية للإنسان ثم تتشكل وتتفرع وتظهر في صور متعددة باختلاف البيئة الثقافية" (٣) .

ولكن وجهة النظر هذه واجهت اعتراضات كثيرة سوف نوضحها اثناء عرضنا لوجهة النظر الثالثة .

ج - المجتمع مصدر القيم

توصف وجهة النظر هذه بانها ميكانيكية، حيث تصنف البشر كنواتج لبيئاتهم، وسلوكهم

(1) Segar, A.; Sociology for Madern Mind; The Mac-Millan Company; N.Y.; 1972; p. (37).

(2) Ajzen, R.; "Human Values and Counseling; The Personal and Guidance Journal; Vol.52; N.2; p.(77) 1973.

يعتمد على تعزيز المجتمع، والقيم لديهم متعلمة ومفروضة بواسطة المجتمع، ومشروطة بالثقافة التي تحدد ماهو خير وماهو شر، مرغوب فيه ومرغوب عنه، سوى ومريض (١)

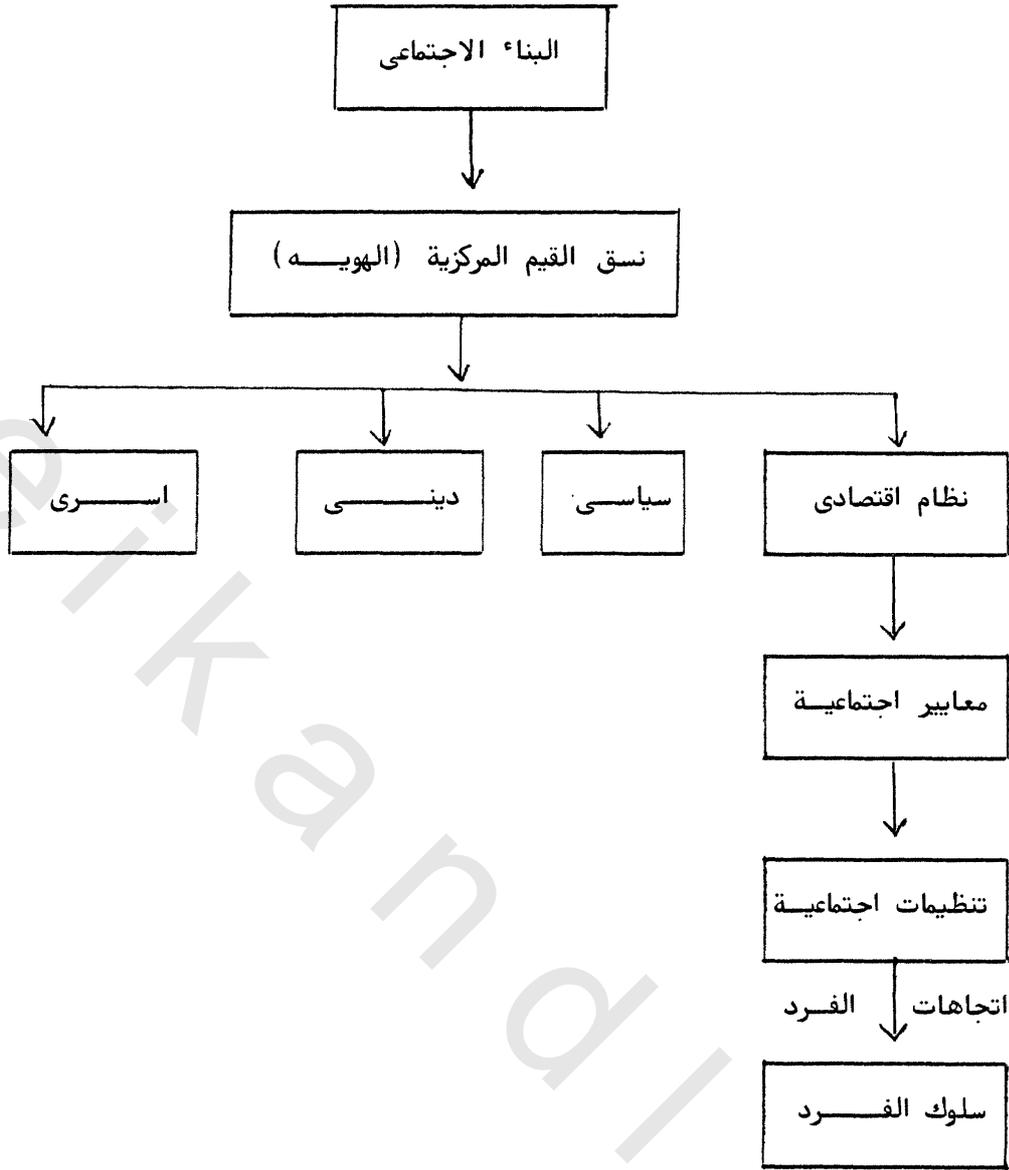
وتحظى وجهة النظر هذه بتأييد البعض من الباحثين ، ومن هؤلاء فلورانس

كلاكهون Florence Klukhohn حيث تقول :

" ان التوجهات القيمة لدى البشر لها جذور عميقة غير مدركة بصورة مباشرة، والحدود الرئيسية للقيم الاساسية نشأت بصورة استثنائية بعيدة عن الشكل العام لعامل الوراثة الوحيد، او نتيجة لخبرة الحياة ، والافراد يشتقون وجهة نظرهم من خلال شعورهم العقلي العام، بانماط الحياة تلك التي تشكل انظمة حياتهم في مجتمعهم او قبيلتهم او اقليمهم او نظامهم السياسى والاقتصادى او امتهم او حضارتهم (٢) .
والمخطط الاتى (٣) يوضح وجهة النظر السابقة :

(1) Ajzen, R.; "Human Values and Caounseling"
Op.Cit.; p. (77).

(2) Klukhohn, Florence R.; "Variation in the
Basic Values of Family Systems"; In: Norman W.
Bell and Ezra I. Vogl (Eds.); Amodern Introdu-
ction to Family; The Free Press n.Y.; 1960;
p.p. (304-305).



ومن ثم فـ شخصية الفرد تتكون اثناء عملية التفاعل الاجتماعي التي تحكمها معايير وتنظيمات البناء الاجتماعي. فـ اثناء التفاعل الاجتماعي تمارس عمليات التلقين والتوجيه وتحدث عملية التوحد بالموضوعات الاجتماعية والانماط المعيارية التي تحكم تفاعل الطفل مع الاشخاص الاخرين (١) ومن ثم تقوم عملية التنشئة الاجتماعية بالدور المهم في اكساب وتنمية القيم.

ومن الرسم التوضيحي السابق يتضح ان لكل مجتمع تنظيمات ومعايير اجتماعية تتلبسور في صيغ مجردة تشكل ما يسمى بـ قيم المجتمع، المستوعبة، وهذه القيم انما تنتقل لـ اعضاء المجتمع الجدد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تهدف في النهاية الى خلق ما يسمى

(١) محمد سعيد فرج: البناء الاجتماعي والشخصية الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية

بالشخصية المنوالية للمجتمع، وعلى الرغم من أن هناك قدرا من التباين بين شخصيات افراد المجتمع، وعلى الرغم من أن حدود ماهو مقبول وماهو غير مقبول تختلف من منطقة لآخرى داخل المجتمع، فإن التنشئة الاجتماعية التي يقوم بها وكلاء الثقافة مناط بها رغما عن هذا كله تحديد اطار مشترك يتحدد من خلاله ملامح المجتمع المتميزة (١) .

وبرى كلباترك ان الفرد اثناء عملية اكتساب وتنمية القيم من خلال التنشئة الاجتماعية يمر بمرحلتين متتابعتين ، في المرحلة الاولى تكون القيم مفروضة على الفرد عن طريق المعايير التي تفرضها الجماعة، فهي تعمل على ان يكتسب هذا الفرد وان يقبل انواعا من السلوك على انها واجبات عليه ان يقوم بها ، وانواعا اخرى من السلوك على انها خطأ ، ولذلك يجب أن يبتعد عنها . أما المرحلة الثانية من تكوين القيم فانه على الرغم من ان الفرد يكون قد تأثر بالقيم التي فرضتها عليه معايير الجماعة فانه يبدأ في أن يسلك سلوكا خاصا به اي يصبح انجازا فرديا، اي انها تنتقل من مجرد سلوك توافقي مع حاجات الجماعة وقيمها الى ايمان بهذا السلوك (٢) .

ولعل هذا ما ايدته كثير من الابحاث والدراسات التي اجريت في البيئـة المصرية، ففي بحث لفوزية دياب عن القيم والعادات الاجتماعية وصلت الى الاستنتاج الآتي:

" تتوقف فكرة النسبية في القيم والعادات الاجتماعية كلية على التنشئة الاجتماعية . فالتنشئة الاجتماعية هي التي تعمل على ادخال القيم والعادات الاجتماعية في نفس الفرد، وتحبيبها اليه وتشكيلها بالشكل الذي ينسجم مع الثقافة التي يعيش فيها، فبنشأ منذ طفولته على الاعتزاز بها، فلا يستطيع التخلص منها، لأنه لا يعرف غيرها . ولأنه يكون قد شب عليها وتكون بدورها قد تغلغلت في نفسه واصبحت من مكونات شخصيته" (٣) .

(١) محي الدين احمد حسين : القيم ا لخاصة لدى المبدعين - مرجع سابق ص(٥٤) .

(٢) يحيى محمد عبده مهني : القيم وعلاقتها ببعض متغيرات الشخصية - رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية التربية - جامعة الازهر - ١٩٨٢، ص (١٤) .

(٣) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية - مرجع سابق ص(٣٤٣) .

ويقدر سيد عبد العال استنادا الى نتائج بحثه ان انساق القيم تختلف باختلاف الثقافات الفرعية الثلاث التي تمثلها عينة البحث (بيئة متحضرة - بيئة شبه متحضرة - بيئة ريفية) . ولكن هل الفروق والاختلافات في القيم نتيجة لتلك الثقافات المتباينة؟ ام هي سبب لها؟ . في الواقع لا يمكن الفصل بحسم بين ابهما السبب وأبهما النتيجة، فاذا كانت الثقافات المختلفة تفرز معايير مختلفة - فان عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دورها في تدعيم تلك المعايير وطبعها على الثقافة من جديد (١) .

ويتفق هذامع القول بان القيم مفهوم اجتماعي يربط بين الفرد والمجتمع - فالمجتمع بكل مؤسساته بداية من الاسرة وجماعات الرفاق ومؤسسات التعليم واجهزة الاعلام - كلها تقوم بدور مهم في عملية اكساب القيم وتنميتها . ولكن ما طبيعة عملية اكساب وتنمية القيم؟ او بمعنى آخر كيفية عملية الاكساب والتنمية للقيم ؟ .

يصف Catton عملية اكساب القيم من خلال عملية التطبيع، حيث يقسول أن عملية التطبيع يمكن ادراكها كما يلي: (٢)

(١) الفرد مركز لعدة مجالات تعبر عن قوى اجتماعية مؤثرة، تجذبه هذه القوى تجاه رغبات ، او في حالة التقويم السلبي تبعده عن تلك الرغبات التي تقع من نطاق مجالها .

(٢) يلعب تأثير الجاذبية دورا مهما في كل حالة من تقريب الرغبات (الامنيات) للمقوم في الابعاد N من فراغ القيمة (x) .

(٣) يوجد تأثير عكسي يحدث بين قوى المجالات المختلفة، حيث ان تأثير بعضها ايجابا

سيد محمد عبدالعال : دينامية العلاقة بين القيم ومستوى الطموح في ضوء المستوى الاجتماعي والاقتصادي في نموذج من المجتمع المصري دراسة ميدانية - رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٧٦ ص (٢٧٥) .

(2) Catton, Williams R., "Atheory of Value"; op. cit. p. (315).

* انظر ص (٣٠) من هذا الفصل .

قد يضعف من تأثير الاخرى .

(٤) لكل فرد نوعية خاصة من مجالات الجذب (الرغبات) محددة بوضوح نحو اشياء أو موضوعات، ويمكن بواسطتها تنشيط قوى هذه المجالات بحيث لا يمكن ان يتم ذلك عن طريق اشياء أو موضوعات اخرى مختلفة عنها .

(٥) عملية تحديد الرغبات التي تنشط كل مجال من مجالات القوة التي تجذب الفرد، هي بدرجة كبيرة وظيفة التثقيف والتفاعل الاجتماعي .

ويضع موكرجي Mukerjee استراتيجية اخرى لعملية اكساب القيم كمايلي (١) :

مراحل التقويم	نظام القيم	طبيعة القيم	طبيعة العلاقات الاجتماعية
(١) اختيار الاهداف	١- تحديد مشيرات معينة واهتمامات ٢- تضارب وتعارض المشيرات والاهتمامات ٣- السلوك الغريزي العرضي . ٤- تطور ونمو النزعة الفردية	ذاتية وسائلية، سريعة الزوال كامنة	تعارض ثابت بين الاهداف الشخصية والامتطلبات الاجتماعية، علاقات اجتماعية عرضية توافق وتحكم صارم
(٢) تشكيل وغرس المثل العليا	١- تقدير وتصنيف وانتقادات المشيرات والاهتمامات ٢- تكامل المشيرات والاهتمامات لكي تعبر في شكل هدف عام . ٣- تحول السلوك البشري الى اطار سلوكي عام . ٤- اثار العزيمة والرغبة . ٥- تنظيم المشيرات والعواطف والانجازات في شكل طابع شخصي	ذاتية، وسائلية، ثابتة، كامنة،	تصديق المجتمع على الاهداف الشخصية . او شرعيتها اجتماعيا ونأسي علاقات اجتماعية ثابتة، نقد وتحسين العلاقات الاجتماعية في ضوء المثل العليا .

(1) Mukerjee, R.K.; The Social Structure of Values; Op. Cit; p.p. (89-90).

مراحل التقويم	نظام القيم	طبيعة القيم	طبيعة العلاقات الاجتماعية
(٣) تنظيم وتوصيف المعايير	١- إعادة تركيب (تشكيل) وتطوير المثل العليا (الغايات العامة) في بناء عضوى مترابط ومتجانس. ٢- التناغم والتجانس (التنسيقى) مع النظام الروحى فى الكون . ٣- اكمال إعادة حل التناقض بين الاهداف والغايات العامة لكل من الفرد والمجموعة . ٤- درجة عالية من الصدق ، التعميم والترغيب ٥- نمو كبير للطابع الشخصى والشخصية من خلال المجتمع .	موضوعية، جوهرية، واقعية، الزامية،	* التصديق على الاهداف والمثل العليا من قبل الحقيقة الاجتماعية او النظام الالهى . * تأسيس الابداد النفسية العميقة والاتصال الواسع بين الافراد * إعادة خلق علاقات انسانية ونظام اجتماعى فى ضوء مقاييس تطوّر الانماط الاجتماعية الحالية والممارسات الاخلاقية .

ويتضح مما سبق أن عملية اكتساب القيم لاتقع على عاتق المجتمع وحده بل يلعب الفرد دورا بارزا للمساهمة فى انجاح عملية اكتسابه للقيم، حيث يوجد عدد من العوامل يتوقف على توافرها نجاح اكتساب الفرد لقيم المجتمع. وحدد تالكوت بارسونز هذه العوامل فيما يلى: (١)

- ١- عامل المرونة، ويعنى قدرة الفرد على تعلم الانماط القيمية المختلفة.
- ٢- عامل الحساسية، ويعنى قدرة الفرد على تشكيل رابطة مع الانماط المتغيرة.
- ٣- عامل الاعتماد على الآخرين، وهذا العامل هو قاعدة الارتكاز فى تنشئة الطفل من الناحية الاجتماعية، أى اكسابه قيم ومعايير المجتمع.

وتوجد العديد من المؤسسات الاجتماعية التى تقوم بعملية التنشئة وبالتالي بعملية اكتساب القيم، ولكل منها نمط خاص بها فى اثناء ادائها لدورها، هذا الى جانب ان كل منها

(1) Parsons, T.; Social Systems; The Free Press; (1) Glencoe Illinois; Second Edition 1952; p. (215).

تحاول ان تركز على نوعية معينة . من القيم تحاول اكسابها للافراد المنتمين اليها . وهذا لا يمنع من وجود بعض القيم التي تسعى كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتأكيدھا كالقيم الدينية .

وتبدأ اولى مراحل اكساب القيم للفرد في فترة الطفولة في داخل الاسرة، عندما يتعلم نطق الكلمات، ففي الأسرة يتلقى الطفل اولى دروسه عن الصواب والخطأ، الحسن والقبيح، الحق والواجب، المرغوب فيه والمرغوب عنه . وليست القيم هبات تعطى للطفل عليه أن يتقبلها كما هي، أو اوامر تفرض عليه، فهو لا يكتسبها ولا يتوحد بها على علاتها بل يدرك منها ما يستطيع ان يكتسبه في اثناء تفاعله مع الام داخل نسق الام، والطفل في اثناء تفاعله مع اعضاء اسرته . عندما يدرك معنى التمييز بين الاحكام وتفاعل الطفل مع والديه واكتساب نسق لقيم جديدة يعنى تعلمه كيفية تبادل الادوار مع الاخرين، ووعيه بتبادل الادوار والمراكز والمواقف والجزئات السلبية والايجابية . وتقع على الام ثم على الاب مسئولية تلقين الطفل قيم المجتمع الكبير واهدافه (١) .

وعملية التنشئة الاسرية في الاسرة تلقائية ومستمرة، الا ان اثرها يكون اكبر كلما كان الطفل صغيرا في السن، ثم ينضال تأثيرها كلما ظهرت مؤسسات او انظمة اخرى تقوم بدور في التنشئة الاجتماعية، مثل جماعات الرئان ومؤسسات التعليم . الخ .

وجدير بالذكر أن لكل ما تبثه الاسرة في شخصية الطفل من قيم اثره البالغ عليه فيما بعد في اثناء تفاعله مع المجتمع الخارجى من حوله، حيث توجد بعض المواقف التي يتعلم ويكتسب فيها القيم في مناخ الاسرة نادرا بل مستحيلا خلقها او خلق ما يشبهها مرة اخرى من مواقع خارج الاسرة، فلا شك " أن الاطفال الذين يشبون في جو تتعرض فيها لام (الزوجة) دائما للتهديد من جانب الاب (الزوج) يتأثرون بهذا الموقف تأثرا كبيرا، فبالاضافة لتعرض الذكور منهم لاقتباس اسلوب الاب في معاملة زوجاتهم في المستقبل، فان مثل هذا الموقف يدعم القيم التي تحط من قيمة المرأة في علاقتها بالرجل وتصورها على انها تابعة له خاضعة لاهوائه (٢) .

(١) محمد سعيد فرح: البناء الاجتماعي والشخصية - مرجع سابق ص (٤٠١) .

(٢) نجيب اسكندر وآخرون: قيمتنا الاجتماعية واثرها في تكوين الشخصية، مكتبة النهضة

وبعد أن يشب الطفل ويصل الى سن معينة تسمح له بالتفاعل مع اقرانه يبدأ تأثير جماعة الاقران ، وقد يكون لهذه الجماعة تأثيرها الاقوى من تأثير الاسرة فى بعض الجوانب حيث انها تكون متنفسا للطفل للتعبير عن بعض آرائه التى قد لا يكون بإمكانه التعبير عنها فى محيط الاسرة، ويظهر ذلك بوجه خاص فى الاسر التى يقل التواصل بين افرادها لتمايز ادوارهم ويرى ميوسن Mussen أن "هناك حاجة من جانب الأبناء الي مثل هذا النوع من الجماعات نظرا لما تقتضيه ظروف الحياة فى ظل المجتمعات الحديثة مع زيادة فى التفاعل الاجتماعى واحتياج المرء بدوره الى ما يعينه على تحديد هويته ومواجهة بعض المتطلبات الاجتماعية المحتملة لوجود قدر من الاستقلال والاقتدار من جانب الابناء، الأمر الذى يفضى بالمرء الى مجازاة ما يسود بين الاقران من قيم ومعايير". (١)

وعندما يصل الطفل الى سن معينة تسمح له بدخول المدرسة يبدأ تأثير مؤسسات التربية النظامية فى تشكيل شخصية الطفل وذلك احد اهدافها الرئيسية" فالتربية هى وسيلة الجماعة فى المحافظة على قيمها الاساسية عرضا (اي فى الجيل الواحد) وطولا (أى بتتابع الاجيال) - كما انها تسهم فى تعديل وتطوير ما يحتاج منها الى تعديل وتطوير" (٢)

والجامعة باعتبارها احدى المؤسسات التربوية فى المجتمع، فان لها دورا فى التنشئة الاجتماعية ، كما اشرنا من قبل - حيث أن للتعليم الجامعى وظيفة مهمة وهى المشاركة فى بناء شخصية المواطن وتنمية الروح العلمية، ومن ثم فاذا كانت الجامعة تعمل على تنمية انماط متعددة من القيم فان من وظائفها الرئيسية العمل على اكساب وتنمية نمط القيم المرتبط بمناخها العلمى، اي القيم المرتبطة بالعلم والبحث العلمى. فما طبيعة هذا النمط القيمي؟ وما القيم المرتبطة بالعلم؟ وهذا ما سنجيب عنه بعد تحليل مفهوم العلم.

-
- (١) محى الدين احمد حسين: القيم الخاصة لدى المبدعين - مرجع سابق، ص (٦٢) .
- (٢) نجيبا سكينر وآخرون: قيمتنا الاجتماعية واثرها فى تكوين الشخصية - مرجع سابق، ص (٣١) .

ثانيا: مفهوم العلم :

— مقدمة:

العلم في اللغة العربية يحمل معنى المعرفة وادراك الشيء ووجدانه بحقيقته، وهو مشتق من الفعل علم ، وهناك ترابط لغوي بين علم وعرف (١) .

اما في اللغة الانجليزية يرادف كلمة العلم كلمة Science وهي مشتقة من أصل لاتيني من الفعل يعرف Scire ، وعلى عكس ماورد في اللغة الاغريقية واللاتينية واللغات الاوربية الحديثة (وكذلك في اللغة العربية كما اشرنا من قبل) بخصوصي المصطلحات المماثلة لهذا المصطلح، فإنه لا يوجد في اللغة الانجليزية اي ترابط من الناحية اللغوية بين مصطلح يعرف أو المعرفة To know ومصطلح العلم Science (٢)

وعلى الرغم من عدم الترابط اللغوي فانه يجب ان نأخذ في اعتبارنا الارتباط الموضوعي بين مدلولات المصطلحين (العلم والمعرفة) ، لأن العلم يتكون من معرفة، ولكن ليس كل شكل من اشكال المعرفة يمكن أن يكون علما (٣) . فمن الواضح ان هناك انواعا متعددة من المعرفة، هذه الانواع تختلف تبعا لطريقة اكتسابها ، وكذلك تبعا لاطار التجربة التي تكون متضمنة فيها، فما نعرفه عن الدين والفن والسحر والقانون يكون كل منها ذخيرة من المعلومات مستقلة عن بعضها البعض، وكذلك ليس لها صلة بما يمكن أن نطلق عليه اسم العلم.

ولا يوجد حتى الآن اتفاق حول تعريف محدد لمصطلح العلم، ولقد ناقش جون كيمنى John Kemeny هذه القضية، وصاغ أربعة مبادئ يمكن الاهتداء بها في

(١) جبران مسعود: رائد الطلاب (معجم لغوي عصري) — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٧ ص (٦٥١) .

(2) Van Laer, P. Henry & Karen, Henry J.; Philosophy of Science; Du Quesne Studies, Philosophical Series; N.6.; Editions Naumelaerts ha vain, Du Quesne University; Pittsburgh; 1956 p.(1).

(3) Ibid. P.(1).

البوصول الى تعريف محدد لمصطلح العلم وهى: (١)

* يجب ان يتفق التعريف المقترح مع ماهو متعارف عليه أو متفق عليهما لان من انتماء بعض المجالات المعرفية للعلم.

* فى حالة وجود اختلاف جوهري يجب ان يحسم التعريف المقترح هـذا
الاختلاف .

* على التعريف الذى امكن به ففى الاختلاف الجوهري ان يوءدى بنا الى مفهوم مفيد .

* يجب ان يكون التعريف المقترح مبسطا بقدر الامكان .

(تعريف العلم)

اذن ما مفهوم العلم ؟

توجد تعريفات متعددة للعلم، وهذه التعريفات فى مجملها اخذت اتجاهيين،
الاول ينظر الى العلم كنسق معرفى، والثانى ينظر اليه كمنهج بحث .

ج : تعريف العلم كنظام أو كنسق من المعرفة

يوجد من تبنوا تعريفا للعلم على أنه نظام من المعرفة، الا انهم لم يتفقوا على طبيعة هذا النظام المعرفى فمنهم من يرى أن مصطلح العلم يطلق على أى مجال معرفى اذا زادت فيه كمية المعرفة او الحقائق عن القدر الذى تحمله الذاكرة الى القدر الذى يتطلب تسجيلها فى سجل خاص، حتى يسهل تبويبها وتصنيفها واستخراج قوانين عامة منها فى هذا المجال، أى أن العلم جسم منظم من المعرفة يحتوى على حقائق وقوانين ونظريات وفرضيات منظمة للكون وظواهره . وتتضح وجهة النظر هذه من التعاريف الآتية:

تعريف للعلم قدمته احدى دوائر المعارف جاء فيها: العلم نظام من المعرفة يعرف جزئيا الى حد ما عن طريق موضوع مادته من الحقائق الموضوعية القليلة او الكثيرة . ويتسم تعريفه بصورة اساسية عن طريق الاساليب التى توصلنا الى البيانات او الحقائق (٢) .

(1) Kemeny, Hohn G.; Philosophy Look at Science; (١)
D. Van Nastrand Company Inc.; N.Y.; 1955; p.(175).

(2) James Hastings; Encyclopeadia of Religion and Ethics; Vol. XI; T. & T. Clark; N.Y.; 1974;
p. (252).

ويتبنى وجهة النظر هذه عبدالباسط محمد حسن حيث يرى ان : "العلم هو المعرفة المصنفة التي تم التوصل اليها باتباع قواعد المنهج العلمى الصحيح، مصاغة فى قوانين عامة للظواهر المنفرقة" (١) .

ويعرف محمد على محمد العلم بانه : " بناء منظم من المعرفة يبدأ بالواقع وينتهى الى تفسيره" (٢) .

وايضا يرى رودلف Rodolf S. الرأى نفسه، حيث عرف العلم بانه : "جسم منظم من المعرفة التى جمعت بطريقة منظمة لفهم الطبيعة وقوانينها" (٣) .

ومن الواضح ان الذين ينظرون هذه النظرة : " يضعون فرضية (وان كانت غير معلنة) وهى ان الحقائق موجودة، والعالم يقف دوره فقط عند اكتشافها" (٤) . وبهذا المعنى فان دور العلم يكون بمثابة مرآة تعكس ما يوجد فى الطبيعة وفى هذا اغفال لأهم ادوار العلم للتحكم فى الظواهر الطبيعية .

والنظرة الى العلم على أنه جسم من المعرفة والحقائق والقوانين وسعت من مفهومه، وهذا هو الشائع اليوم فى بعض مدارسنا وبعض جامعاتنا، حيث تطابق بين المفهوم وبين الطبيعة والكيمياء والاحياء والسياسية والاقتصاد . . . الخ . ويطلق على كل مشتغل بالمعارف لفظ " عالم " Scientist ويشترك معه فى هذه الصفة ايضا كل دارس أو مشتغل بدراسة الشريعة والقانون والمجالات الادبية والفلسفية، ومن الملاحظ فى هذا تمييز للمفهوم، ولا يتضمن اى تحديده .

(١) عبدالباسط محمدحسن : اصول البحث الاجتماعى - الانجلو المصرية - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٥ - ص (١٨)

(٢) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى - دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٩ ص (١٠١) .

(3) Rodolf Schrader; Science and Policy; Pergaman Press, Paris, 1963; p.(3).

(٤) صلاح قنصوه : فلسفة العلم - دار الثقافة - القاهرة ١٩٨٠ - ص (٩) .

ويوجد ايضا من يرى أن العلم نظام من المعرفة ، ولكنه يختلف مع التعريفات السابقة في ان مضمون النظام المعرفي الذي يطلق عليه مصطلح "العلم" ليس حقائق أو معارف عامة بل هو العلاقات التي تحكم الظواهر والاشياء ، أى أن جوهر العلم تبعاً لهذا الرأي هو القوانين والنظريات . وهذا ما يراه الن برنت Allen Brent حيث عرف العلم بأنه "البحث من ترتيب وانظمة وروابط قانونية بين الاحداث في الطبيعة، وهو يبدأ مثلما نبدأ نحن من مشاهدة حوادث مفردة ، ولكن تتحول الى قاعدة عامة ثم الى قانون علمي". (١)

ويرى ايضا نورمان Norman أن العلم هو:
" دراسة تلك الاحكام التي يمكننا الحصول على اتفاق عالمي بشأنها" (٢) .

الا أن جون ديوى يرى ان هذا المفهوم للعلم:
" يقصر مصطلح العلم على الرياضيات، وتلك الفروع من المعرفة التي يمكن أن تحدد نتائجها باتباع طرق منهجية صارمة، ومثل هذا المفهوم يحد من الادعاء بأن الفيزياء والكيمياء تكون علوماً، حيث انه تبعاً لهذا المفهوم فالجزء العملي فقط من هذه المجالات هو الذى يكون ذاتية رياضية. أما موضوع البيولوجيا فسيكون اكثر شكوكاً، وبالنسبة للمجالات الاجتماعية والنفسية فتبعاً لهذا المفهوم لا يمكن ان تدرج ضمن العلوم على الاطلاق" (٣) .

ومن خلال العرض السابق لبعض تعريفات العلم، يمكن القول بأن النظرة الى العلم على انه نسق معرفي، سواء كان جوهر هذا النسق معارف وحقائق او قوانين وعلاقات — تعد نظرة اسناتيكية ، حيث انها تجعل العلم بناءً ثابتاً من المعرفة، وما يستجد من الحقائق

(1) Allen Brent; Philosophy and Educational Foundations; George Allen & Unwin; London; p.(89).

(2) Norman Compabell; what is Science ?; Dover Publication Inc.; N.Y.; 1953; p.(27).

(3) Dewey, J.; The Sources of Science of Education Liveright; N.Y.; 1929; p.(8).

أو القوانين يضاف الى هذا البناء، وفي هذا تسليم بمدق كل الحقائق والقوانين المقدمة من قبل أو بنفعيتها المطلقة من الناحية العملية، وهذا ما يناقضه التطور العلمي للمجالات المعرفية المختلفة، فمع استمرارية التطوير نكتشف حقائق وقوانين جديدة وتحل محل حقائق وقوانين اكتشف خطأها أو قصورها في بعض الجوانب .

وهذا الى جانب ان النظرة الى العلم من خلال نتائجه كمجموعة حقائق وقوانين وعلاقات بين الظواهر اغفلت الميكانيزم الذي ادى الى هذه النتيجة، او بمعنى آخر ماهو السبيل لتشكيل هذا النسق او النظام المعرفي الذي يطلق عليه العلم؟ .

ب : تعريف العلم كمنهج بحث :

يوجد من ينظر الى جوهر العلم على أنه طريقة للتفكير والبحث والتي تؤكد على أهمية الملاحظة الدقيقة، وفرض الفروض، والتحقق من صحتها عن طريق الواقع .
ومن التعريفات التي نحت هذا المنحى التعريف الذي قدمه عميرة والديب حيث عرفا العلم بأنه :

" منشط يهدف الى البحث عن تفسيرات لحقائق الطبيعة وظواهرها ، وبالتالي الى فهم تلك الحقائق والظواهر والى صياغة هذه التفسيرات في صورة نظريات أو قوانين تمتاز بالاقتصاد في الفكر والتعبير " (١) .

ويعرف ريشارد ليفيجستون Richard Livingstone العلم بأنه :
" طريقة للبحث وذلك للتحقق من الوقائع واختبارها بالتجربة، وذلك لفهمها، والوصول الى تفسيرات حولها " . (٢)

ويتضح من التعريفين السابقين انهما يرادفان بين العلم كمنهج والمنهج الاستقرائي

(١) ابراهيم بسيوني عميرة، فتحي الديب : تدريس العلوم والتربية العلمية، دارالمعارف بمصر - القاهرة - ط٦ - ١٩٧٧، ص (٨٣-٨٤) .

(2) Marison, Elling E.(Ed.); Science and the Education Man; The M. I.T. Press; Cambridge; 1966; p.(1).

التجريبي، الا انه يوجد اكثر من منهج علمي، فالى جانب المنهج الاستقرائي التجريبي يوجد منهج القياس وهو مهم جدا في مجال الرياضيات ويوجد المنهج الاستردادي السذبي يستخدم لدراسة التاريخ، وكذلك يوجد المنهج الجدلي. ولذا فتعريف ديوى للعلم يعتبر اكثر شمولا من التعريفين السابقين، حيث عرف العلم بأنه:

"الاساليب المنهجية الموجهة للبحث التي اذا اتبع تطبيقها على أى مجال معين من الحقائق والمعارف يجعلنا احسن قدرة على فهمها، واكثر ذكاء في التحكم فيها مع قليل من العشوائية وعدم المرونة" (١).

وينضح من التعريفات التي تحت المنحى السابق، انها جعلت العلم أو الاسلوب العلمى يخص بعض الافراد وهم فئة العلماء، وليس في كل اطوار حياتهم، بل فقط وهم داخل معاملهم أو اماكن بحثهم. الا ان العلم كشاط انساني اكبر من ان يحد في بيئة المعمل أو المكتبة، وابعده اثرا واشمل تأثيرا من ذلك:

" فقد تكون زامنهج علمى فى حياتك اليومية نفسها، اذ ليس العلم مقصورا على المعامل والانابيب، بل هو اى تفكير منظم يستمد الحقائق من المشاهدة الدقيقة والتجربة ثم يرتبها ويربطها فى نسق يضمنها معا، فيفسرها" (٢). وهو نشاط فكري ليس هدفه جمع الحقائق ولا اهتمامه الاول تحسينا لعالم وقدرة النوع البشرى، انه غالبا مايساعد فى عمل كل هذا (٣).

والعلم كشاط انساني يتخطى حدود موضوعات بحثه ومجال تطبيقاتها لينطلق منها الى افاق انسانية فسيحة:

(1) Dewey, J.; The Sources of Science of Education; Op. Cit.; p.p. (8-9).

(٢) زكى نجيب محمود: المنطق الوضعى - الانجلو المصرية، ط ٣، ١٩٥٦ ص (٣٨٩)

(3) Kerlinger, Fred N.; "Research in Education"; Encyclopedia of Educational Research; The Macmillan Company; N.Y.; 1969; P. (1127).

" فهو يقوم على توجيه اسئلة واضحة يمكن الاجابة عنها لكي توجه ملاحظات الفرد، والتي تتم بطريقة هادئة وغير متحيزه، والتي تدور بدقة بقدر الامكان وبطريقة تسمح بالاجابة عن الاسئلة المثارة فى البداية، بحيثان المعتقدات أو الفروض التي تكونت قبل القيام بالملاحظات تخضع للتعديل فى ضوء ما تجمع من ملاحظات او ماتم التوصل اليه من اجابات" (١) .

وتعريف العلم كشاط انساني تبنته اليونسكو فى توصية لها بشأن اوضاع المشتغلين بالبحثالعلمى حيث جاء فيها :

" تعنى كلمة العلم الجهد الذى يقوم به البشر سواء كان جهدا فرديا أو جهد جماعة صغيرة او كبيرة ، كمحاولة منظمة للدراسة الموضوعة لظواهر لاحظوها لاكتشاف سلسلة الأسباب والمسببات والتحكم فيها، ويجمعون ماينتج عن ذلك من نظم فرعية للمعرفة فى صورة منسقة من خلال تفكير وتصور منهجيين . مهيين بذلك لانفسهم فرصة استخدام ما توصلوا اليه من معارف لمنفعتهم" (٢) .

وهذه النظرة الشمولية لمفهوم العلم يقدمها ببرى حيث يقول فانه " حدث فى تاريخ الفكر الاوربى مجهود انساني معين نسميه العلم" (٣) .

وهذا مايتفقعليه محمد عماد الدين اسماعيل حيث عرف العلم بأنه " نشاط لغوى اجتماعى يهدف بهالانسان الى زيادة قدرته على السيطرة على الطبيعة" (٤) .

(١) جيمس كونانت: العلم والسلوك الانساني فى: فرانكت سيفرين: علم النفس الانساني ترجمة طلعت منصور واخرين- الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٨ ص (٢٣٧) .

(2) UNESCO (United Nations Educational; Recommendation on the Status of Scientific Researchers adopted; by the General Conference at its Eighteenth Session Paris 20 November, 1974; p.(5).

(٢) رالف بارتينبيرى - افاق القيمة ترجمة : عبدالمحسن عاطف سلام - مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ص (٤٠٥)

(٤) محمد عماد الدين اسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك الانساني، مرجع سابق ص (٢١) .

ولقد تبني وجهة النظر هذه كل من باربر Barber وبيرتون Merton

حيث قالوا :

" يجب ان نعرف ان العلم مثل اي انشطة اجتماعية منظمة، فهو عمل اخلاقي . والعلم لانستطيع تأويله ببساطة على انه مجموعة اجراءات لاساليب عقلانية ولكن ايضا ليشتمل على مجموعة من الانشطة التي تتضمن عددا من القيم الخلقية والتي لها معايير او مستويات أخلاقية" (١) .

ولذا فالعلم كنشاط اجتماعي اكبر من ان نرادف بينه وبين مناهج بحث أو اساليب منهجية، بل الاساليب المنهجية تعتبر وسائل وطرقا للعلم لفهم الطبيعة وتفسير ظواهرها من اجل السيطرة عتليها . وكما اشرنا من قبل فالاساليب المنهجية بقدر ما هي عوامل تساهم في نمو العلم وتطوره فهي من منتجاته ايضا . واعظم قيمة للعلم لانكمن في اساليبه أو في نتائجه، ولكن في خلق نظرة علمية جديدة، فروح العلم التي اكتسبها الرجل الحديث ، رجلا عاديا كان ام عالما قد تكون اعظم تأثيرا من الحقائق او النظريات أو الطرق (٢) .

والعلم كنشاط انساني له اهداف يسعى اليها ، وكذلك دور اجتماعي عليه ان يؤديه ومن ثم يحكمه مجموعة من القيم تحث على الاشتغال به ، وتدفعه للتطور ، وتحدد مقاييس البحث والالتزام باساليبه المنهجية ، وكذلك توجد قيم تحدد نفوذ العلم وتأثيره على المجتمع، أي تحكم علاقة العلم كنشاط انساني بالبيئة الاجتماعية التي يتواحد ويعمل فيها .

فما اهداف العلم كنشاط انساني ؟

وما دوره الاجتماعي الذي يجب أن يؤديه ؟

وما القيم التي تحكم النشاط العلمي في حركته ؟ وكيفية نشأتها ؟

-
- (1) Barber, B. and Merton, Robert K.; Science and the Social Order; The Free Press Publishers; Glencoe; Illinois; 1962; p.p. (84-85).

(٢) فيليب هـ . فينكس : فلسفة التربية — ترجمة : محمد لبيب النجيجي، دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٥ ص ص (٥٠٧ — ٥٠٨) .

أهداف العلم:

للعلم عدة أهداف ، يجملها البعض في اربعة اهداف هي الوصف Description والتفسير والتحكم والتحكم Control (١) . Interpretation or Explonation و التنبؤ Prediction

والبعض الآخر يجملها في ثلاثة اهداف هي الفهم والتنبؤ والتحكم أو الضبط (٢) وعلى أية حال فلا يوجد تعارض بين وجهتي النظر حيث انه:

×× لفهم أية ظاهرة لابد وان تسعى الى وصفها اولا ويشمل ذلك:
أ - التصنيف Classification ويتعلق باكتشاف روابط ثابتة بين الصفات او الخصائص كما يتعلق بترميز هذه الروابط عن طريق صياغة المفاهيم.

ب - التسلسل Seriation وهو يتطلب مزيدامن المعرفة لانه لايتوجه الى السمات والخصائص المشتركةقبل يستلزم ان تكون هذه الخصائص او السمات موجودة في درجات يمكن ترتيبها في اطار متصل Continumm وبطريقة ثابتة.

ج - ويأتى بعد ذلك الارتباط Correlation الذى ينتج عن اكتشاف تعلق سمنين أو خاصيتين أو اكثر، الواحدة بالأخرى وجودا أو عدما، زيادة أو نقصانا وبعد ذلك يأتى تفسير الظاهرة أو الحادثة .

×× وبوئدى فهنا للظاهرة على هذا النحو الى مجموعة من القواعد والقوانين ولاشك أن ذلك كله يسهم فى زيادة قدرتنا على التنبؤ باحتمالات حدوث الظاهرة فى

(١) انظر:- صلاح قنصوه: فلسفة العلم - مرجع سابق ص ص (١٤٥-١٤٦)

- Mouly, G.J.; The Science of Education Research; Offest by Eurasia offest Printers; Ram Nagar; New Delhi; 964; p.p. (21-22).

(٢) انظر : × محمد عماد الدين اسماعيل: المنهج العلمي وتفسير السلوك - مرجع سابق ص (٢٢)

× احمد زكى صالح: التعلم اسسه ونظرياته - مكتبة النهضة القاهرة ١٩٥٩ ص (١٨٢) .

- Van Dalen, D.B.; Understanding Educationl Research, An Introduction; 4th Edition; McGraw-Hall; N.Y.; 1979; p.p. (24-26).

المستقبل • كما ان التنبؤ يعنى أيضا تصورا لمدى انطباق هذه القواعد والقوانين على ظواهر اخرى مشابهة أو على نفس الظاهرة فى اوقات مختلفة او فى مواقف اخرى مشابهة، او فى مواقف اخرى غير مستنتجة منها اصلا • والتنبؤ يساعد على زيادة الفهم، وذلك لانه يعتبر جزءا من خطة التحقيق الذى تختبر به صحة معلوماتنا •

×× فاذا وصلنا الى درجة معينة من الفهم ومن التنبؤ بما سوف يحدث من العلاقات بين الظواهر فاننا نصبح فى موقف يساعدنا على ضبط الظاهرة والتحكم فيها واخضاعها للارادة الانسانية، فالتحكم هو امكانية تناول الظروف التى تحدد حدوث الظاهرة المتنبأ بالعلاقات المحيطة بها بشكل يحقق لنا مزيدا من القدرة على السيطرة على هذه الظاهرة، وتوجيهها بما يحقق مصلحة الانسان •

الدور الاجتماعى للعلم:

فى البداية لا بد ان نسأل انفسنا عن الغاية التى يسعى اليها الباحث العلمى ماغايته من محاولاته لدراسة ظاهرة ما؟ ومحاولاته فهم العلاقات بين متغيراتها والتنبؤ بمسارها المستقبلى ومحاولة التحكم فيها بعد ذلك؟ هل الغاية من وراء ذلك الاستمتاع العقلى ام المنفعة العامة؟

" توجد نظرتان متباينتان لدور العلم، يمكن ان نطلق على الاولى النظر المثالية، وعلى الثانية البرجماتية، فالعلم من وجهة النظر الاولى يكشف عن الحقيقة ويتأمل فيها، ورسالته أن يرسم لنا صورة للكون تتفق مع الحقائق التى تكشف عنها الخبرة، أما النظر الاخرى فتبرز الناحية النفعية، وتظهر الحقيقة كوسيلة للفعل المفيد، ولا يمكن اختبارها الا بهذا الفعل" (١) •

فتبعاً لوجهة النظر البرجماتية، توصف الفكرة بانها فكرة علمية اذا كانت تحمل فى صلبها طريقة تطبيقها على أرض الواقع (٢) •

(١) د • برنال : رسالة العلم الاجتماعية - ترجمة ابراهيم حلمى عبدالرحمن - دار الفكر

العربى - القاهرة - ١٩٤٩ ص (١٤) •

(٢) زكى نجيب محمود: فى حياتنا العقلية - دار الشروق - القاهرة ط ٢ - ١٩٨١

ص (٩٧) •

الرأى الاول يقلل من أهمية العلم ورسالته الاجتماعية، أو يجعلها فى المرتبة الثانية لأهمية العلم، ويرى ان العلم هو غرض لذاته وسعى وراء المعرفة لذاتها، ويتأثر هذا الرأى بمفهوم العلم على انه مجموعة حقائق او قوانين او نظام معرفى، كما أنه يقف بالعلم عند الهدف الاول له، اى العلم وسيله الى معرفة العالم، وليس بالضرورة وسيلة لتغييره.

ويرى تايلور Taylor, F. :

ان " للعلم غرضين رئيسيين ، هما تمكين الانسان من كيفية العمل ، والمعرفة، الأول ربما يكون الاقدم فعلى سبيل المثال ان التفكير فى الطائرات على ما يبدو كان اقدم من علم الفلك، ولكن فى العلم التجريبي الحديث الذى بدأ فى القرن السابع عشر نجد ان كلا الغرضين حاضر ويكمل كل منهما الآخر" (١).

وكان كارل ماركس اول من أكد على ضرورة الدور الاجتماعى للعلم وذلك فى عام

١٨٤٥ م فى كتابه " بحث فى فيور بلخ" حيث قال :

" ان ملكية الحقيقة الموضوعية لفكر الانسان ليست مسألة نظريات ولكنها مسألة عملية، ان حقائق الفكر، أو بعبارة أخرى واقع الفكر وقوته ، يجب ان تعرض للتطبيق . وان التساؤل عن حقيقة او عدم حقيقة الفكر المنعزل عن التطبيق مسألة مدرسية بحتة . ان الفلاسفة لم يفعلوا سوى أن ترجموا الكون بأساليب مختلفة و لكن المهمة الحقيقية هى تغييره" (٢).

وتطورت وجهة نظر ماركس على يد جون دبوى حيث جعل معيار علمية النظرية او الفكرة هو امكانية تطبيقها، ومن ثم فالنظرية العلمية او الفكرة ماهى الا اداة من ادوات العمل تحسب جيدة او رديئة طبقا لفاعليتها فى هذا العمل ، ومن ثم فهى جيدة فى وقت و رديئة فى وقت آخر . عندما تكون جيدة يمكن ان تسمى حقيقة . ولكن هذه الكلمة

(1) Taylor, F. Sherwood; Science, Past and Present; Mercury Books; London; 1962; p. (337).

(٢) برتراند راسل: أثر العلم فى المجتمع - ترجمة محمد الحديدى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٥ - ص ص (٨٦-٨٧).

يجب الا يكون لها معانيها المعتادة فان ديوى يفضل عبارة (جواز القبول) على كلمة الحقيقة (١) .

لهذا يختلف مفهوم البحث العلمى عند ديوى عن سائر الفلاسفة فهو ليس بحثا عن الحقيقة كما هى قائمة فى الفكر- على مذهب المثاليين ، أو كما هى قائمة فى الواقع الخارجى على مذهب الواقعيين ، بل البحث عنده تحويل لموقف مشكل الى موقف محلـول الاشكال ، أو بعبارة اخرى ليست غاية البحث وصف ماهو قائم - بل تغييره فى صورة جديدة تخدم اغراض الانسان ازاء مشكلات تعترضه (٢) .

ومن ثم فيجب الا نقف عند حد الوصول الى المعرفة العلمية، وانما لا بد ان نعود بهامرة اخرى الى المجتمع فى صورة تطبيقات فى شتى مجالات العمل به - فى الزراعة والصناعة والتجارة والتربية والسياسة... الخ . وحدير بالذكر ان التخلي عن الدور الاجتماعى للعلم سيكون معوقا للابداع العلمى ولنا فى التاريخ درس وعبره . حيث ان امما كثيرة بلغت ذروة العلمى عصرها ولكنها لم تستمر فى عطائها العلمى طويلا ، واصابتها انتكاسة فتوقف تيارها العلمى . " لقد اصاب الشلل علم اليونان القديم لأن المجتمع اليونانى لم يكن يبحث فى ذلك الوقت عن بديل لعضلات العبيد، فلم يكن ثمة حافز للتقدم ، ولا تطبيق عام للعلم على الحياة . فتوقف العلم واخفق فى ان يكون قوة واقعية حقيقية لحياة المجتمع، واصبح مجرد حلقة من الدراسات الحرة لأقلية ذات خطوة وامتياز كما صار زينة وتراضيا ، وموضوعا للتأمل وليس وسيلة لتحويل اوضاع الحياة وتغييرها ، ولم يكن السبب فى ذلك نقصا فى الكفاءة أو الموهبة بل عجزا فى التخطيط والسياسة الاجتماعية، كما يرجع ايضا لسيطرة نمط من القيم الاجتماعية، فعزلت نتائج العلم عن اصلها الاجتماعى وأصلها فى عالم التطبيق والعمل ووضعت فوق كل هذا . فصدق بذلك قول بيكون عن علم اليونان بانه عذراء لم تتجنب Vestal Virgin (٣) .

(١) المرجع السابق ص (٨٨)

(٢) زكى نجيب محمود: " من مقدمته لكتاب " جون ديوى - المنطق نظرية بحث دار المعارف القاهرة، ١٩٦٠ ص (٤٤) .

(٣) صلاح قنصوه: فلسفة العلم - مرجع سابق - ص (١١٦) .